الأسلوب الدعوي عند مؤمن آل يس وأثره في الدّعوة في سورة يس

إعداد :

- **د. عبد اللّطيف أحمد يعقوب محمّد.جامعة الشّرق للعلوم والتكنولوجيا**

البريد الإلكتروني : gmrya41@gmail.com

المستخلص

هذا البحث يتناول قصة مؤمن آل يس، وهي قصة مؤثرة تحمل في طيّاتها دروسا بليغة في الثبات على الحق، والدعوة إليه ، وهي نموذج لداعية أخلص لله تعالى في دعوته، وصدح بها من غير خوف، وكان أنموذجا في التّطبيق العملي، ونوّع في الأساليب الدّعويّة، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الدّاعية، وأنّ الصّدح بدعوة التوحيد من أعظم الأعمال التي يقوم بها الإنسان، فهو خيرُ محبوبٍ لله تعالى، وأنّ الدّعوة إلى الله واجبة على الجميع، وإن كانوا يتفاوتون في ذلك، ولكن يعظم عند الله تعالى مقام من يقتحم ولا يخاف في الله لومة لائم.

وإن دعاتنا اليوم أحوج ما يكونوا للوقوف على هذا النموذج الذي سجل الله محاوراته مع آل يس قرآنا يتلى، حتى يأخذ المسلمون عبرها على مدى الزمان، ويستضيئوا بأنوارها في الدعوة إلى الله تعالى، **وقد خلص البحث إلى نتائج مهمة، منها:**

أهمية الإخلاص في الدعوة إلى الله يؤدي إلى نجاح الداعية وقبول دعوته، وأن الحرص على هداية الآخرين دليل إيمان، وأهمية الثبات على المبدأ مهما كانت الظروف والأحوال، وخطورة الإعراض الجماعي عن الحق، و ضرورة دعم المصلحين والأخذ على أيديهم.

وبناء على النتائج تقدم الدراسة التّوصيات التّالية:

1/ أن يقف المجتمع مع الدعاة المصلحين المخلصين لمواجهة التيارات المنحرفة.

2/ أن يكون المجتمع أكثر تماسكا وتعاونا لنشر القيم السمحة ونصرة الحق، وإبعاد الخلافات، والحرص على هداية الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كلمات مفتاحية: مؤمن آل يس، القرية، ، المرسلون، أمنت بربكم، صيحة واحدة،

The Islamic invitation style of a believer from the people of Yassin and its impact on the call for Islam as in the Quran chapter of Yassin

Abstract

The present research discusses the story of the believer from Yasin Family. It is a story that teaches how one steadily supports what is right. It is a model of an ideal preacher who was faithful and fearless in his belief as a typical preacher is required to be. The call for monotheism is the greatest human deed indeed and it is a must for all. However, people are different in that but Allah glorifies those who are fearless to tell the truth.

Our Islamic invitation today is need of such example whom Allah recorded his dialogue in the holy Quran so that Muslims can learn a lesson along course of time and be enlightened by its lights in the invitation for almighty Allah. The most important findings of the study are as follow;

- Faithful invitation results in the success of the inviter and the acceptance of his invitation.
- Keenness to guide others to the right path is an evidence of strong faith and principles whatever the circumstances and conditions are.
- Collective rejection of the truth is dangerous.
- Importance of supporting reformers.

Based on the above findings, the following recommendations are forwarded;

1/ all people must support the faithful reformers to confront non-believers.

2/ the community must be more united and cooperative so as to diffuse good values and support the truth, eliminate disputes and be keen to guide people to the right path.

Last but not least we are very grateful to Allah the lord of the whole world.

Key words; Believer from Yasmin family - village – messengers – believe in God – one cry.

بسم الله الرّحمن الرحيم

وصلى الله وسلّم على سيدنا محمّدٍ في الأولين والآخرين

مقدّمة

تعتبر الدّعوة إلى الله تعالى من أشرف الأعمال وأجلّها، وأرفع المقامات وأعظمها، وصدق الله المولى الجليل: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت : 33]، ولقد أرسل الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلّم رحمة لكل العوالم، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء : 107]، نعم هو رحمة لأنه يأخذ بيد الناس من الظلمات إلى النور، {الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [إبراهيم : 1]، وعظّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم أجر الدّاعين إلى الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» [1].

وقد حفل القرآن الكريم بكثير من القصص لأناس ليسوا بأنبياء، وإنما هم من أهل الصّلاح، أبقى الله سيرتهم، ورفع ذكرهم، حتى يستفيد منهم الدّعاة إلى الله تعالى، تفكرا وأخذا للدروس والعبر، {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف : 176].

وتعدّ قصة مؤمن آل يس أنموذجا للدّاعية الصابر الذي تحمّل مشقة الدعوة، وضحى بنفسه من أجل الدعوة إلى الله، وقد كان صادقا، ولذلك كافأه الله الجنة، فكان أن تحسّر كما أخبرنا ربنا في التنزيل {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27)} [يس : 26 - 27]، وقد حوت قصّة مؤمن آل يس عبرا ودروسا يجب علينا أن نستفيد منها في سيرنا إلى الله تعالى.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى بيان:

1/ أنّ الصدح بتوحيد الله تعالى من أجل الأعمال وأعظمها، فالأعمال إنما تبنى عليه.

2/ أنّ الدّعوة إلى الله تعالى واجبة على كل فرد، وبحسب استطاعته.

3/ أن المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله تعالى من المؤمن الضّعيف.

4/ حسن مآل وعاقبة من يدعو إلى الله تعالى، كما وقع لمؤمن آل يس.

5/ أنّ بُعد المسافة يجب أن لا يحول بين العبد والدّعوة إلى الله تعالى.

---

[1] / مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بالرقم2674، (4/ 2060).

المنهج المتّبع في الدراسة: أتّبع المنهج الوصفي التحليلي، لجمع وتحليل البيانات.

أسباب اختيار الموضوع:

تضافرت عدّة أسباب لاختيار الموضوع منها:

1/ حاجة الأمة إلى نماذج من الدّعاة الذين يصبرون ويطيلون النّفس ويضحون بأنفسهم من أجل الدّعوة إلى الله تعالى.

2/ تخلى كثيرون عن مسؤولية الدّعوة إلى الله تعالى، وما وقع من تواكل في ذلك.

3/ تفشي المنكرات و المعاصي، مع قلة النّاصح الآمر بالمعروف والنّاهي عن المنكر، وضرر ذلك وخطورته وشؤمه يصيب الجميع.

4/ أهميّة التّنويع في الوسائل الأساليب الدعوية كضرب الأمثال، والتّرغيب والتّرهيب، مع سلوك الرفق في الدّعوة.

5/ كثرة من يشمتون بالمدعوّين ويعيرهم، ما يحتم على الدّعاة إلى الله تعالى أن يتأسوا بنموذج مؤمن آل يس.

الآيات التي وردت في سورة يس

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (19) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (28) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (29)} [يس : 13 - 29].

صدّرت القصة بقوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ}، فالخطاب لسيدنا رسول الله ﷺ، أي احك لأهل مكة قصة أولئك الذين أرسل الله إليهم رسلا، والجامع بينهما عبادة الأوثان، حتى يعتبروا ويتفكروا، {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف : 176]، {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت : 43]، {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر : 21].

فجعل الله أصحاب تلك القرية مثلا لأصحاب مكة، لأنهم كذبوا كما كذّب أولئك، وكيف كان مآلهم،

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا} [محمد : 10].

القرآن ما ذكر اسم القرية، ولكن أجمع المفسرون [1] على أنّها أنطاكية [2] ، والله أعلم بالصواب، لكن يجب أن يتبين أن العبرة في الواقعة لا في القرية.

أرسل الله تعالى إليهم رسولين فكذبوهما، فكان أن عضّدهما الله بثالث، وأكدوا لهم أنّهم أرسلوا إليهم، لهدايتهم إلى طريق الحق.

من هم؟. اختلف أهل العلم في من هم على أقوال:

صادق، صدوق وشلوم [3] ،

---

[1] / محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، جامع البيان في تأويل القرآن، الناشر: مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م، ط1، (20/ 500)، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ، ط1، (4/ 9)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1422 هـ، ط1، (4/ 449)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420 هـ، ط3، (26/ 260)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، 1384هـ - 1964 م، ط2، (15/ 14)، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ، (6/ 505)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ، (22/ 358).

[2] / أنطاكية: مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم بالشام. موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء، وفي داخلها مزارع وبساتين، وانها بنتها انطاكية بنت الروم بن اليقن بن سام بن نوح، عليه السلام، ذات سور وفصيل. ولسورها ثلاثمائة وستون برجاً، يطوف عليها أربعة آلاف حارس من عند صاحب القسطنطينة، يضمنون حراستها سنةً ويستبدل بهم في السنة الثانية، وسورها مبني على السهل والجبل من عجائب الدنيا، ولها قلعة عالية جداً تتبين من بعد بعيد تستر الشمس عن المدينة، فلا تطلع عليها إلا في الساعة الثانية، وبها بيعة القسيان، وهو الملك الذي أحيا ولده رئيس الحواريين فطرس، كما جاء في القصة في قوله تعالى: واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، آثار البلاد وأخبار العباد، المؤلف: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، الناشر: دار صادر – بيروت، ص 150، وقد أراد الرشيد سكنى انطاكية فقيل له ما فيها من ترادف الصدإ على سلاحها وزوال ريح الطيب منها، فامتنع من سكناها والنصارى يدعونها مدينة الله ومدينة الملك وأم المدائن لأنها أول بلد أظهر فيه دين النصرانية، وهي قاعدة القياصرة وكان بانطاكية فرعون من الفراعنة فبعث الله تعالى إليهم رسلاً وفيهم نزل " واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون " ، الروض المعطار في خبر الأقطار، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى، المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، 1980 م، ص38.

[3] / تفسير البغوي (4/ 10)، تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 450)، تفسير ابن كثير ت سلامة (6/ 505).

وقيل يوحنا، بولس وشمعون[1]، والذي يقال: إنه لم يرد في صحيح السنة ما يشير إلى أسمائهم، فلا عبرة بذلك، فالله أعلم بهم، والمراد الاعتبار بالواقعة.

هل هم رسل عيسى عليه السّلام؟.السياق القرآني يدل على أنّهم رسل من عند الله تعالى لا من عند عيسى عليه السلام، (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14)، ولكن علل بعض أهل العلم ذلك قال البغوي رحمه الله: وإنما أضاف الله الإرسال إليه لأن عيسى

إنما بعثهم بأمره تعالى فقالوا، جميعا لأهل أنطاكية، إنا إليكم مرسلون [2].

قال القرطبي رحمه الله: أضاف الرب ذلك إلى نفسه، لأن عيسى أرسلهما بأمر الرب، وكان ذلك حين رفع عيسى إلى السماء [3].

قال ابن عطيّة: واختلف المفسرون في «المرسلين» فقال قتادة وغيره: كانوا من الحواريين الذين بعثهم

عيسى عليه السلام حين رفع وصلب الذي ألقي عليه شبهه، فافترق الحواريون في الآفاق فقص الله تعالى هنا قصة الذين نهضوا إلى انطاكية، وقالت فرقة: هؤلاء أنبياء من قبل الله تعالى [4].

وقال الرازي رحمه الله: وَهِيَ أَنَّ فِي الْحِكَايَةِ أَنَّ الرُّسُلَ كَانُوا مَبْعُوثِينَ مِنْ جِهَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْسَلَهُمْ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ فَقَالَ تَعَالَى: إِرْسَالُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ إِرْسَالُنَا وَرَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ بِإِذْنِ اللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ فَلَا يَقَعُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ أولئك كانوا رسل الرَّسُولِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَإِنَّ تَكْذِيبَهُمْ كَتَكْذِيبِكَ فَتَتِمُّ التَّسْلِيَةُ [5].

وهنا إشارة إلى جواز أن يتعدد الرسل في زمان ومكان واحد.

<u>المرسلون إلى القرية ودعوتهم للناس:</u> دعوهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وذلك هو البلاغ المبين الذي جاءت به الرسل، لأنه ما من مرسل إلا جاء بدعوة التوحيد، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [النحل : 36].

---

[1] / تفسير البغوي (4/ 10)

[2] / تفسير البغوي - إحياء التراث (4/ 10).

[3] / تفسير القرطبي (15/ 14).

[4] / تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 449).

[5] / تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (26/ 260).

كيف ردّ عليهم أهل القرية؟، ردوا عليهم بما ذكره القرآن:

1/ إن أنتم إلا بشر مثلنا، وذلك يدل على عدم المنطق، لأنه لو أرسل إليهم غير البشر لاحتجوا، ولساغ لهم ذلك، لأنه ليس من جنسهم، {قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا} [الإسراء : 95]، وهكذا قالت كثير من الأقوام لرسلهم، {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [إبراهيم : 10]، {مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الشعراء : 154]، {وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ} [الشعراء : 186]، {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا} [الفرقان : 7]، ويا سبحان الله لو أرسل الله إليهم ملكا لاحتجوا بأنه على خلاف طبيعتهم، ولكنها المكابرة والمعاندة.

2/ ما أنزل الرحمن من شيء، كذبوهم أن يكونوا مرسلين، وكذبوا أن يكون الله أنزل إليهم شيئا، وذلك شأن كثيرين ممن خلوا قبلهم، {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} [الأنعام : 91]، إن أنتم إلا تكذبون أي في دعواكم أنكم رسل.

وكذلك قالها كفار مكة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم حسدا، {أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص : 8]، {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف : 31]، ولكنهم نسوا أن النبوة اصطفاء، {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج : 75].

3/ تطيرنا بكم، أي تشاءمنا بكم، فأي شرّ يصيبنا فبسببكم، قال البغوي رحمه الله: وذلك أن المطر حبس عنهم حين قدم الرسل عليهم، فقالوا: ما أصابنا هذا إلا بشؤمكم، لئن لم تنتهوا لنرجمنكم، لنقتلنكم [1] ، وتوعدوهم وعيدا شديدا، وذلك دأب أهل الكفر فقد قالوا لنوح عليه السلام: {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ} [الشعراء : 116]، وقالوها لشعيب عليه السلام: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} [هود : 91].

والتّطير وقع من كثير من الأمم كما حدثنا القرآن، فقد تطير قوم ثمود بنبيهم صالح، {قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ} [النمل : 47]، وتطير قوم فرعون بموسى عليه السلام، {فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الأعراف :

[1] / تفسير البغوي - إحياء التراث (4/ 10).

131]، وتطير كفار مكة برسول الله ﷺ، {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} [النساء: 78].

والتّطير أمر ممنوع شرعا، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ» [1]،

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي عَضُدِهِ حَلْقَةً مِنَ صُفْرٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: نُعِتَتْ لِي مِنَ الْوَاهِنَةِ قَالَ: أَمَا إِنْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ وَلَا تُطُيِّرَ لَهُ، وَلَا تَكَهَّنَ وَلَا تُكُهِّنَ لَهُ» أَظُنُّهُ قَالَ: «أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ» [2].

فالمؤمن يقوي اعتماده على الله تعالى، ويتيقن قول رسول الله ﷺ: عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ»، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ [3].

ويا سبحان الله، ما سلكوا مسلك الحوار، وما وقفوا على مقارعة الحجة بالحجة، وإنما سلكوا مسلك التهديد، لنرجمنكم، أي نقتلكم، أو نعذبكم عذابا شديدا، قال القرطبي رحمه الله: وليمسنكم منا عذاب أليم" قيل: هو القتل. وقيل: هو التعذيب المؤلم. وقيل: هو التعذيب المؤلم قبل القتل كالسلخ والقطع والصلب" [4].

الكفار لا يعرفون سوى لغة التهديد بالقتل قديما وحديثا، والواقع يشهد على ذلك، من تقتيل للبرآء من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ففي عام واحد قتلوا في غزة نحوا من 62000، وإصابة أكثر من 100000، وتقتيل للمسلمين الروهينغا، وغيرهما الشعوب المسلمة المستضعفة.

---

[1] / صحيح البخاري بالرقم5707، (7/ 126).

[2] / سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.بالرقم355، (18/ 162)، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه إِسْحَاقُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَطَّارُ، وَثَّقَهُ أَبُو حَاتِمٍ، وَضَعَّفَهُ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م، (5/ 104).

[3] / أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، بالرقم4699، (4/ 225)، وهو صحيح.

[4] / تفسير القرطبي (15/ 16).

{قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} [يس : 19]، {طائركم معكم} أي: مردود عليكم، كقوله تعالى في قوم فرعون: {فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله} [الأعراف: 131] ، وقال قوم صالح: {اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله} [النمل: 47] . وقال قتادة، ووهب بن منبه: أي أعمالكم معكم. وقال تعالى: {وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا} [النساء: 78] ، وقوله: {أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون} أي: من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا وتهددتمونا؟ بل أنتم قوم مسرفون [1] ، أي مجاوزون لحدود الله.

{أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ} يَعْنِي: وُعِظْتُمْ بِاللَّهِ، وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ مَحْذُوفُ الْجَوَابِ مَجَازُهُ: إِنْ ذُكِّرْتُمْ وَوُعِظْتُمْ بِاللَّهِ تَطَيَّرْتُمْ بِنَا [2] .

امتاز مؤمن آل يس بأسلوب فريد في المبادرة والمسارعة حرصا على إنقاذ قومه، جاء رجل من أقصى المدينة، للدلالة على أن بعد المسافة ما ينبغي أن يحول بين الإنسان والدعوة إلى الله.

لماذا جاءت رجل نكرة؟ قال الفخر الرّازي رحمه الله: وجاء من أقصا المدينة رجل في تنكير الرجل مع أنه كان معروفا معلوما عند الله فائدتان الأولى: أن يكون تعظيما لشأنه أي رجل كامل في الرجولية الثانية: أن يكون مفيدا لظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال إنهم تواطؤا، والرجل هو حبيب النجار كان ينحت الأصنام وقد آمن بمحمد ﷺ قبل وجوده حيث صار من العلماء بكتاب الله، ورأى فيه نعت محمد ﷺ وبعثته [3] .

استخدم أسلوب اللين واللطف في الخطاب، إذ بدأ بقوله: يا قوم وهذا فيه عاطفة وانتماء وقرب، وذلك دليل على الحرص والمحبة، قال الرازي رحمه الله: في قوله: يا قوم اتبعوا المرسلين فيه معان لطيفة الأول: في قوله: يا قوم فإنه ينبئ عن إشفاق عليهم وشفقة فإن إضافتهم إلى نفسه بقوله: يا قوم يفيد أنه لا يريد بهم إلا خيرا، وهذا مثل قول مؤمن آل فرعون يا قوم اتبعون [غافر: 38] فإن قيل قال هذا الرجل اتبعوا المرسلين وقال ذلك اتبعون فما الفرق؟ نقول هذا الرجل جاءهم وفي أول مجيئه نصحهم وما رأوا سيرته، فقال: اتبعوا هؤلاء الذين أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم السبيل، وأما مؤمن آل فرعون فكان فيهم واتبع موسى ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في الإيمان بموسى

[1] / تفسير ابن كثيرت سلامة (6/ 570).

[2] / تفسير البغوي - طيبة (7/ 13)

[3] / تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (26/ 263).

وهارون عليهما السلام، واعلموا أنه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي وأنتم تعلمون أني اخترته، ولم يكن للرجل الذي جاء من أقصى المدينة أن يقول أنتم تعلمون اتباعي لهم [1].

أي: من أبعد جوانب أنطاكية، {رَجُلٌ} عظيمُ الشأن، قويُّ الإيمان، فيه إشارة إلى رجولية الجائي وجلادته، وتنكيره لتعظيم شأنه، لا لكونه رجلًا منكورًا غير معلوم، فإنه معلوم عند الله تعالى، وكان منزله عند أقصى باب المدينة، وفي مجيئه من أقصى المدينة بيان لكون الرسل أتوا بالبلاغ المبين حتى بلغت دعوتهم إلى أقصى المدينة، حيث آمن الرجل، وكان دور السور اثني عشر ميلًا؛ أي: فلما سمع خبر الرسل مع القوم جاء حالة كونه {يَسْعَى}؛ أي: يسرع في مشيه، فإن السعي: المشي السريع، وهو دون العدو [2].

قال سيّد قطب رحمه الله: إنها استجابة الفطرة السليمة لدعوة الحق المستقيمة، فيها الصدق والبساطة والحرارة واستقامة الإدراك، وتلبية الإيقاع القوي للحق المبين، فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعد ما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق ما يتحدث عنه في مقالته لقومه، وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره، فلم يطق سكوتا، ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره، وتحرك في شعوره، سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويهددون [3].

التّعريف بمؤمن آل يس

ذكر أكثر المفسرين أن اسمه حبيب النّجار [4]، لكن القرآن والسنّة ما صرحا باسمه، لأن العبرة في القصة، ودروسها وعظاتها وعبرها.

زمانه: وقع الخلاف حول زمانه، فقالت طائفة: في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام، وقالت طائفة أخرى في زمن ملك كافر، والصواب أنه في زمن عيسى عليه السلام، وقد تقدّم معنا أنهم من الحواريين الذين كان يرسلهم عيسى عليه السلام للدّعوة إلى الله تعالى.

والقرآن الكريم والسنّة المطهرة ما أشارا إلى زوانه، فلا نشغل أنفسنا بذلك، ولنعتبر بالقصة ونستفيد من دروسها.

كيف تعامل مؤمن آل يس مع أهل القرية؟.

---

[1] / تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (26/ 263)

[2] / تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م ،(23/ 499).

[3] / في ظلال القرآن، سيد قطب، ط 42، 2015 م، (5/ 2962 ، 2963).

[4] / تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (20/ 504)، تفسير البغوي - طيبة (7/ 13)، تفسير ابن كثير ت سلامة (6/ 570).

جاء مسرعا إليهم ودعاهم إلى الله تعالى أن يستجيبوا لدعوة الرسل، قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، ثم بيّن لهم أن المرسلين جاؤا لهدايتهم إلى الله تعالى، وأنهم لا يريدون منهم مالا ولا جزاءا، {اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [يس : 21]، استخدم أسلوب التّعليل والإقناع من خلال قوله: من لا يسألكم أجرا وتلك حجّة عقليّة واضحة، ، وفي قوله: وهم مهتدون إشارة إلى حجة عقلية وهي أن اتّباع المهتدي يضمن النّجاة.

والمتأمل يجد أن كثيرا من الرسل ذكروا ذلك، كنوح، وهود، وصالح، ولوط وشعيب ومحمد عليهم الصلاة و السلام، {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء : 127]، وأنكر عليهم عبادة غير الله خالقهم، لا يطلبون أجرا على إبلاغ الدّعوة، دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

اتّخذ أسلوب بيان التوحيد بالبرهان، بيّن لهم أن الإله الذي يدعونه إليه هو خالقهم أن المرجع إليه سبحانه وتعالى، وأن النفع والضر بيده، وأن ما يعبدون من دونه من آلهة لا تملك لهم من الله شيئا،

ويا للفطرة السليمة، قالها بيقين، {أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ} [يس : 23]، إن فعلت ذلك إني متنكب الصراط، ويا سبحان الله الإيمان إذا عمر القلب كان قوة ودافعا للثبات على الحق وعدم الخوف من العاقبة، وهذا استفهام إنكار وتوبيخ، ورحم الله السّحرة لما آمنوا واجهوا فرعون غير آبئين بتهديده {قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)} [طه : 71 - 73].

وهذه عقيدة المؤمن فهو متوكل على الله، اعتماده عليه قوي، وثقته فيه كبيرة، فهو يعلم أن النفع والضر بيد الله تعالى، {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} [الزمر : 38]

أراد لهم الهداية، وكان ناصحا أمينا، ولكن، {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص : 56].

وهنا مسألة مهمة تتعلق بترتيب الأولويات، فقد بدأ هذا الرجل دعوته بأعظم مطلوب وهو توحيد الله تعالى، وهكذا بدأت جميع الرسل بالتوحيد، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء : 25]، ولقد قعّد رسول الله صلى الله عليه وسلّم هذه القاعدة في توجيهه لمعاذ بن جبل، كما ورد في الحديث، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ

عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ» [1]، فالدعاة إلى الله تعالى في كل زمان ومكان عليهم أن يأخذوا بفقه الأوليات في الدعوة إلى الله تعالى، وبذلك تؤتي دعوتهم أكلها، ويحققوا الخير لمجتمعهم، وفي ذلك تقوية لإيمانهم، وتمتين لأُخوّتهم.

كان شجاعا في أسلوبه مع أن قومه أشداء لما أعرضوا وأبوا أن يؤمنوا بالله الواحد الأحد، صدح بكلمة الحق بلا خوف ولا وجل، {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ}، وهنا سؤال: من الذين خاطبهم بقوله: إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ؟.

اختلف أهل العلم في ذلك كما قال الرّازي رحمه الله: في المخاطب بقوله: بربكم وجوه أحدها: هم المرسلون، قال المفسرون: أقبل القوم عليه يريدون قتله فأقبل هو على المرسلين وقال: إني آمنت بربكم فاسمعوا قولي واشهدوا لي وثانيها: هم الكفار كأنه لما نصحهم وما نفعهم قال: فأنا آمنت فاسمعون وثالثها: بربكم أيها السامعون فاسمعون على العموم، كما قلنا في قول الواعظ حيث يقول: يا مسكين ما أكثر أملك وما أنزل عملك يريد به كل سامع يسمعه وفي قوله: فاسمعون فوائد أحدها: أنه كلام مترو متفكر حيث قال: فاسمعون فإن المتكلم إذا كان يعلم أن لكلامه جماعة سامعين يتفكر وثانيها: أنه ينبه القوم ويقول إني أخبرتكم بما فعلت حتى لا تقولوا لم أخفيت عنا أمرك ولو أظهرت لآمنا معك وثالثها: أن يكون المراد السماع الذي بمعنى القبول، يقول القائل نصحته فسمع قولي أي قبله، فإن قلت لم قال من قبل: وما لي لا أعبد الذي فطرني [يس: 22] وقال هاهنا: آمنت بربكم ولم يقل آمنت بربي؟ نقول قولنا الخطاب مع الرسل أمر ظاهر، لأنه لما قال آمنت بربكم ظهر عند الرسل أنه قبل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه إليه ولو قال بربي لعلهم كانوا يقولون كل كافر يقول لي رب وأنا مؤمن بربي، وأما على قولنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان للتوحيد، وذلك لأنه لما قال: أعبد الذي فطرني ثم قال: آمنت بربكم فهم أنه يقول ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وهو بعينه ربكم، بخلاف ما لو قال آمنت بربي فيقول الكافر وأنا أيضا آمنت بربي ومثل هذا قوله تعالى: الله ربنا وربكم. [الشورى: 15] [2].

فكان أن سلكوا مسلك الطغاة الجبابرة فقتلوه، كما فعل فرعون مع السحرة، {قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى} [طه : 71]، نعم صدق الله في دعوته، فكان أن كافأه الله بالجنة، نعم قتلوه شرّ قِتْلة كما ذكر القرطبي

[1] / صحيح البخاري بالرقم 1458، صحيح مسلم بالرقم 19.

[2] / تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (26/ 267).

رحمه الله: قال ابن مسعود: وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره، وألقي في بئر وهي الرس وهم أصحاب الرس، وفي رواية أنهم قتلوا الرسل الثلاثة، وقال السدي رموه بالحجارة وهو يقول: اللهم اهد قومي حتى قتلوه، وقال الكلبي: حفروا حفرة وجعلوه فيها، وردموا فوقه التراب فمات ردما [1].

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله: وذُكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، حتى أقْعَصوه وهو كذلك.

وقال آخرون: بل وثبوا عليه، فوطئوه بأقدامهم حتى مات، وعن ابن عباس، وعن كعب، وعن وهب بن منبه قال لهم (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) .. إلى قوله (فَاسْمَعُونِ) وثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه، ولم يكن أحد يدفع عنه [2].

جاءته المكافأة فوريّة، {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27)} [يس : 26 - 27]، استخدم معهم أسلوب الدّعاء والشّفقة على قومه، ويا سبحان الله، دعاهم إلى الله حيّا وميتا، قال يا ليت قومي يعلمون، الحال التي صرت عليها في الجنّة، وما أكرمني به، وذلك أنه لما آمن ودعا إلى الله تعالى أكرمه الله بالغفران وجعله مكرما، وبمثل ذلك يكافئ الله عباده المؤمنين المخلصين الثابتين على الحق، {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [سبأ : 4].

[1] / تفسير القرطبي (15/ 19).

[2] / تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (20/ 508).

الخاتمة وتشتمل على أهمّ النتائج والتّوصيات

لما كان العلماء هم ورثة الأنبياء، كان لزاما عليهم أن يسلكوا مسلكهم، وأن يجدوا في الدّعوة إلى الله تعالى، وعظا ونصحا وإرشادا لعباد الله، مع اغتنام الفرص كلما سنحت، وذلك ما فعله مؤمن آل يس، فكان أن آتت دعوته أكلها، دعا إلى الله حيا وميت، فكان أن كافأه الله الجنة، وهكذا كل من يصدق الله في دعوته موعود بخير عظيم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلّم لما قال: "... فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ" [1].

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج

1/ الإخلاص في الدعوة إلى الله يؤدي إلى نجاح الداعية وقبول دعوته.

2/ الحرص على هداية الآخرين دليل إيمان.

3/ أهمية الثبات على المبدأ مهما كانت الظروف والأحوال.

4/ خطورة الإعراض الجماعي عن الحق، وأن العاقبة تكون على الجميع.

5/ البدء بالأصول قبل الفروع، وترتيب الأولويات منهج شرعي.

6/ أهميّة التنويع في الأساليب يفيد المدعوّين.

7/ ضرورة دعم المصلحين والأخذ على أيديهم.

8/ أن أثر الداعية لا يقاس بعدد المتابعين بل بصدق العمل.

9/ أهمية التضحية في سبيل المبدأ والشجاعة في قول الحق.

10/ أهمية تقديم رضا الله على رضا الناس.

11/ أعظم مكسب أن يموت الإنسان على الحق.

12/ حسن الظن بالله يقود إلى خيرات عظيمة..

ثانيا: التوصيات

1/ أن يقف المجتمع مع الدعاة المصلحين المخلصين لمواجهة التيارات المنحرفة.

2/ أن يكون المجتمع أكثر تماسكا وتعاونا لنشر القيم السمحة ونصرة الحق، وإبعاد الخلافات، والحرص على هداية الناس.

[1] / صحيح البخاري بالرقم2942، (4/ 47).

قائمة المصادروالمراجع

القرآن الكريم.

(1) أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م.

(2) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ

(3) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، 1384هـ - 1964 م، ط2.

(4) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى، الروض المعطار في خبر الأقطار، المؤلف: المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية.

(5) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420 هـ، ط3.

(6) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت،1420 هـ، ط1.

(7) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1422 هـ، ط1.

(8) زكريا بن محمد بن محمود القزويني آثار البلاد وأخبار العباد، ، الناشر: دار صادر – بيروت.

سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، المحقق: (9) حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

(10) سيد قطب، في ظلال القرآن، 2015 م، ط42.

(11) محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في

روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

(12) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ

(13) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ، ط1.

(14) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، جامع البيان في تأويل القرآن، الناشر: مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م، ط1.

(15) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.